وَليسَ بَينَ هَلُوكٍ وَحُرَّة غير خطبه[1]

فهى رخيصة تُباع كما بيعت الجاهليات — ممنْ رأينا قبل قليل — فى سوق الخنا ، وهى كجعبة تتلقى السهام ، وهذا جديد فى الهجاء لعصره أخذه من وصف المعارك ورسم النصال تتكسر على النصال . وقد عمد إلى طريقة القدماء فى وصف النساء وأضافَ إليها طريقته فى التعبير ، فقال فى هجاء ابن كيْغلَغ :

يَحْمى ابنُ كيْغلغَ الطَّريقَ وعرْسُه مَا بينَ رجْليْها الطريقُ الأعْظمُ

وهو فى ذلك شبيه بقول الفرزدق فى أم جرير حين قعدت للناس كطريق مُعْمَل ، أو كالربعى حين قال :

أنا زَوْجَةُ الأعمى المباحِ حَريمُهُ أنا عِرْسُ ذى القرْنين لا الإسكندر

وَدخل أبو العلاء المعرى فى هذا الباب كرهاً للمرأة وتحاملا عليها ، فتخيل لها كل فجور ، وألصق بها كل فسق ، ونزع عنها الثقة حتى حين تنتقلُ من بيت إلى بيت فقال :

أعــوذُ بالله منْ وَرْهاء قَائلة[2] للزَّوج إنى إلى الحمَّام أحْتاجُ
وَهمُّها فى أمور لو يُطاوِعُها كسرى عليها لشِينَ الملك والتَّاجُ

ذلك لأنه يريد أن نكتفى منها بأن نجعلها قعيدة الدار ترتل آى الحمد والإخلاص فحسب ، فإذا خرجتْ جلبت العار إلى البيت ، وزوجةُ كسرى نفسه لو فعلتْ لكانت سقوطاً له دونه هجوم الجيوش واستعار الحروب وذلة الانكسار ، ورأيه فى ذلك يعمّ جنس النساء لا امرأة بعينها ، لأنه يكره هذا النسل كله ، والمرأة سبب لوجوده وتناسله ، فهى أم الخبائث والمصائب :

يَلِدْنَ أعادِياً وَيكنَّ عاراً إذا أمْسَيْن فى المتهضَّماتِ

فهن غير مأمونات فى غدوّهن ورواحهنّ ، حتى فى بيوت التلاوة وفى

---

(١) اهلوك : الحسنة البعل لزوجها .
(٢) الورهاء : الحمقاء .